تعامل النبي ﷺ مع المسلمين الجدد

كان النبي ﷺ حريصاً على هداية الناس أشد ما يكون الحرص؛ حتى خاطبه ربّه تبارك وتعالى بقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، وبقوله سبحانه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

قال الطبري: «يعني تعالى ذكره بذلك: فلعلك يا محمدُ قاتلٌ نفسك، ومهلكها على آثار قومك الذين قالوا لك: لن نؤمنَ لك حتى تفجرَ لنا من الأرض ينبوعاً؛ تمرّداً منهم على ربّهم إن هم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذي أنزلته عليك، فيصدّقوا بأنه من عند الله حزناً، وتلهّفا، ووجداً بإدبارهم عنك، وإعراضهم عمّا أتيتهم به، وتركهم الإيمانَ بك»[(١)].

وقد وصفه الله بالحرصِ على هدايةِ الناسِ، فقال: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨].

﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾، أي: يشقُّ عليه الأمر الذي يشقُّ عليكم، ويعنتكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾ فيحبُّ لكم الخيرَ، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرصُ على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشّرَّ، ويسعى جهده في تنفيركم عنه.

﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾، أي: شديدُ الرأفة والرحمة بهم، أرحمُ بهم من والديهم[(٢)].

ويمثّل لنا رسول الله ﷺ حرصه على نجاة الناس من عذاب الله، فيقولُ: «**إنّما مثلي ومثلُ النّاسِ كمثلِ رجلٍ استوقدَ ناراً، فلمّا أضاءتْ ما حولهُ جعلَ الفراشُ، وهذهِ الدّوابُّ الّتي**

(١) تفسير الطبري [١٥/ ١٩٤].

(٢) تفسير السعدي [١/ ٣٥٦].

تقعُ في النّارِ يقعنَ فيها، فجعلَ ينزعهنَّ، ويغلبنهُ فيقتحمنَ فيها، فأنا آخذُ بحجزكمْ[١] عنِ النّارِ، وهمْ يقتحمونَ فيها»[٢].

قال ابنُ حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «في الحديثِ: ما كان فيه ﷺ من الرأفةِ، والرحمةِ، والحرص على نجاةِ الأمّةِ كما قال تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]»[٣].

وكم ذرفت عيناه ﷺ من أجل هذه الأمة:

عنْ عبدِ الله بنِ عمرو بنِ العاصِ أنَّ النّبيَّ ﷺ تلا قولَ الله عَزَّوَجَلَّ في إبراهيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] الآيةَ، وقالَ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

فرفعَ يديهِ، وقالَ: «**اللهمَّ أمّتي أمّتي**»، وبكى.

فقالَ الله عَزَّوَجَلَّ: **يا جبريلُ اذهبْ إلى محمّدٍ -وربّكَ أعلمُ- فسلهُ ما يبكيكَ؟**

فأتاهُ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فسألهُ، فأخبرهُ رسولُ الله ﷺ بما قالَ.

فقالَ الله: **يا جبريلُ، اذهبْ إلى محمّدٍ، فقلْ: إنّا سنرضيكَ في أمّتكَ، ولا نسوءكَ**[٤].

وكم برقتْ أساريرُ وجهه ﷺ؛ فرحاً وسروراً بإشهار رجل إسلامه:

ففي قصة إسلام عديِّ بن حاتم: فلمّا رآهُ رسولُ الله ﷺ وثبَ إليهِ فرحاً، وما عليهِ رداءٌ، حتّى بايعهُ[٥].

والمتأمّلُ في السيرةِ الصحيحةِ والسنة النبوية يجدُ أن هدي النبيِّ ﷺ مع المسلمين الجدد -في جميع المراحل- هو أكملُ هديٍ وأتمّه.

---

(١) الحجزة: موضع عقد الإزار.

(٢) رواه البخاري [٦٤٨٣]، ومسلم [٢٢٨٤] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) فتح الباري [١١/ ٣١٨].

(٤) رواه مسلم [٢٠٢].

(٥) رواه مالك في الموطأ [١١٥٦] وعبد الرزاق في المصنف [١٢٦٤٦]، وقد سبق.

ولنستعرض بعض هذه الصور الكريمة وهذا الهدي الطيب المبارك لنقف على بعض معاني قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]:

كان ﷺ يبتهل بالدعاء إلى الله تعالى لهداية من يتوسّمَ فيه الخيرَ من الناس؛ ليدخل في الإسلام:

قال أبو الحسن ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«كان الرسول ﷺ يحبُّ دخول الناس في الإسلام، وكان يدعو لمن كان يرجو منه الإنابةَ، فأسلم كثيرٌ ممن دعا له بالهدى»(١).

وعنْ عبد الله بنِ عبّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النّبيَّ ﷺ قالَ «**اللهمَّ أعزَّ الإسلامَ بأحبِّ هذينِ الرّجلينِ إليكَ: بأبي جهلٍ، أوْ بعمرَ بنِ الخطّابِ**».

قال: وكان أحبّهما إليه عمرُ(٢).

وكان هذا في أول الأمر، ثم خصَّ عمرَ بالدعاءِ: فعنْ عائشةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنَّ النّبيَّ ﷺ قال: «**اللهمَّ أعزَّ الإسلامَ بعمر بنِ الخطّابِ خاصّةً**»(٣).

وقد أسلم عمرُ بن الخطاب عقبَ دعوةِ النبيِّ ﷺ.

مع أن كثيراً من الناس كان يائساً من إسلامِ عمرَ، حتى قال قائلهم: «لا يسلمُ عمرُ حتى يسلمَ حمارُ الخطّاب»(٤).

فدعاءُ النبيِّ ﷺ لعمر بن الخطاب كان له الأثرُ البالغُ في دخوله الإسلامَ.

---

(١) شرح ابن بطال على صحيح البخاري [٩/ ١٤٩] مختصراً.

(٢) رواه الترمذي [٣٦٨١]، وصحّحه الألباني في سنن الترمذي [٢٩٠٧].

(٣) رواه ابن حبان [٦٨٨٢]، وصحّحه الحاكم [٤٤٨٥]، والذهبي، والحافظ في الفتح [٧/ ٤٨]، والألباني في الصحيحة [٦٨٨٢].

(٤) السيرة النبوية لابن هشام [١/ ٢٩٥]

وكذلك دعا لأم أبي هريرة بالإسلام:

قالَ أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنتُ أدعو أمّي إلى الإسلامِ وهيَ مشركةٌ، فدعوتها يوماً، فأسمعتني في رسولِ الله ﷺ ما أكرهُ.

فأتيتُ رسولَ الله ﷺ وأنا أبكي.

قلتُ: يا رسولَ الله إنّي كنتُ أدعو أمّي إلى الإسلامِ، فتأبى عليَّ، فدعوتها اليومَ، فأسمعتني فيكَ ما أكرهُ، فادعُ اللهَ أنْ يهديَ أمَّ أبي هريرةَ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**اللهمَّ اهدِ أمَّ أبي هريرةَ**».

فخرجتُ مستبشراً بدعوةِ نبيِّ الله ﷺ.

فلمّا جئتُ، فصرتُ إلى البابِ، فإذا هوَ مجافٌ[1]، فسمعتْ أمّي خشفَ قدميَّ[2] فقالتْ: مكانكَ يا أبا هريرةَ.

وسمعتُ خضخضةَ الماءِ[3]، قالَ: فاغتسلتْ، ولبستْ درعها، وعجلتْ عنْ خمارها، ففتحتِ البابَ.

ثمَّ قالتْ: يا أبا هريرةَ، أشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدهُ ورسولهُ.

فرجعتُ إلى رسولِ الله ﷺ، فأتيتهُ وأنا أبكي منْ الفرحِ.

قلتُ: يا رسولَ الله، أبشرْ، قدِ استجابَ الله دعوتكَ، وهدى أمَّ أبي هريرةَ.

فحمدَ اللهَ، وأثنى عليهِ، وقالَ خيراً.

قلتُ: يا رسولَ الله ادعُ اللهَ أنْ يحبّبني أنا وأمّي إلى عبادهِ المؤمنينَ، ويحبّبهمْ إلينا.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**اللهمَّ حبّبْ عبيدكَ هذا وأمّهُ إلى عبادكَ المؤمنينَ، وحبّبْ إليهمْ المؤمنينَ**».

---

(١) أيْ: مغلقٌ.

(٢) أيْ: صوتهما في الأرض.

(٣) أي: صوت تحريكه.

فما خلقَ مؤمنٌ يسمعُ بي، ولا يراني إلّا أحبّني[١].

وكذلك دعا لقبيلة دوس بالهداية للإسلام:

كما روى أبو هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: جاءَ الطّفيلُ بنُ عمرٍو إلى النّبيِّ ﷺ، فقالَ: إنَّ دوساً قدْ هلكتْ، عصتْ وأبتْ، فادعُ اللهَ عليهمْ.

فظنَّ النّاسُ أنّهُ يدعو عليهمْ.

فقالَ: «**اللهمَّ اهدِ دوساً، وأتِ بهمْ**»[٢].

وقد بوّب عليه البخاري في صحيحه: «بابُ الدّعاءِ للمشركينَ بالهدى ليتألّفهمْ».

قال الحافظ: «وقوله: (ليتألّفهمْ) منْ تفقّهِ المصنّفَ، إشارة منهُ إلى الفرقِ بينَ المقامينِ، وأنّهُ ﷺ كانَ تارةً يدعو عليهمْ، وتارةً يدعو لهمْ.

فالحالة الأولى: حيثُ تشتدُّ شوكتهمْ، ويكثرُ أذاهمْ، والحالةُ الثّانيةُ: حيثُ تؤمنُ غائلتهمْ، ويرجى تألّفهمْ كما في قصّةِ دوسٍ»[٣].

وكان يحمدُ الله تعالى على إسلامهم ويفرح بذلك.

عنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: كانَ غلامٌ يهوديٌّ يخدمُ النّبيَّ ﷺ فمرضَ، فأتاهُ النّبيُّ ﷺ يعودهُ، فقعدَ عندَ رأسهِ، فقالَ لهُ: «**أسلمْ**».

فنظرَ إلى أبيهِ وهوَ عندهُ فقالَ: لهُ أطعْ أبا القاسمِ ﷺ، فأسلمَ.

فخرجَ النّبيُّ ﷺ وهوَ يقولُ: «**الحمدُ للهِ الّذي أنقذهُ [بي] منَ النّارِ**»[٤].

وقد سبق معنا ذكر فرح النبي ﷺ بإسلام عدي بن حاتم، وإسلام عكرمة بن أبي جهل.

---

(١) رواه مسلم [٢٤٩١].

(٢) رواه البخاري [٢٩٣٧]، ومسلم [٢٥٢٤].

(٣) فتح الباري [٦/ ١٠٨].

(٤) رواه البخاري [١٣٥٦] وأبو داود [٣٠٩٥]، والزيادة لأبي داود.

ومما يستأنس به في ذلك:

مـا روي عـن حويطـبِ بنِ عبدِ العزّى أنه قال: لمّا دخلَ رسـولُ الله ﷺ مكّـةَ عامَ الفتحِ خفتُ خوفاً شديداً، فخرجتُ منْ بيتي، وفرّقتُ عيالي في مواضعَ يأمنونَ فيها.

فانتهيـتُ إلى حائطِ عوفٍ، فكنتُ فيهِ، فإذا أنا بأبي ذرٍّ الغفاريِّ، وكانتْ بيني وبينهُ خلّةٌ، والخلّةُ أبداً مانعةٌ، فلمّا رأيتهُ هربتُ منهُ.

فقالَ: أبا محمّدٍ.

فقلتُ: لبّيكَ.

قالَ: ما لكَ؟

قلتُ: الخوفُ.

قالَ: لا خوفَ عليكَ، أنتَ آمنٌ بأمانِ الله عَزَّوَجَلَّ.

فرجعتُ إليهِ، فسلّمتُ عليهِ.

فقالَ: اذهبْ إلى منزلكَ.

قلتُ: هلْ لي سبيلٌ إلى منزلي، والله ما أراني أصلُ إلى بيتي حيّاً حتّى ألفى فأقتلَ، أوْ يدخلُ عليَّ منزلي فأقتلُ، وإنَّ عيالي لفي مواضعَ شتّى.

قالَ: فاجمعْ عيالكَ في موضعٍ، وأنا أبلغُ معكَ إلى منزلكَ.

فبلغَ معي، وجعلَ ينادي على أنَّ حويطباً آمنٌ فلا يهجْ.

ثـمَّ انصرفَ أبو ذرٍّ إلى رسـولِ الله ﷺ، فأخبرهُ، فقالَ: «**أوليسَ قـدْ أمنَ النّاسُ كلّهمْ إلّا منْ أمرت بقتلهمْ؟**».

قالَ: فاطمأننتُ، ورددتُ عيالي إلى منازلهمْ، وعادَ إليَّ أبو ذرٍّ.

فقالَ لي: يا أبا محمّدٍ حتّى متى؟ وإلى متى؟ قدْ سبقتَ في المواطنِ كلّها، وفاتكَ خيرٌ كثيرٌ، وبقيَ خيرٌ كثيرٌ؛ فأتِ رسولَ الله ﷺ، فأسلمْ تسلمْ.

ورسولُ الله ﷺ أبرُّ النّاسِ، وأوصلُ النّاسِ، وأحلمُ النّاسِ، شرفهُ شرفكَ، وعزّهُ عزّكَ.

قالَ: قلتُ: فأنا أخرجُ معكَ، فآتيهِ.

فخرجتُ معهُ حتّى أتيتُ رسولَ الله ﷺ بالبطحاءِ، وعندهُ أبو بكرٍ، وعمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فوقفتُ على رأسهِ، فسلمت عليه فردّ السلام، فقلتُ: أشهدُ أنَّ لا إلهَ إلّا الله، وأنّكَ رسولُ الله، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**الحمدُ لله الّذي هداكَ**».

قالَ: وسرَّ رسولُ الله ﷺ بإسلامي، ثم شهدتُ معهُ حنيناً والطّائفَ، وأعطاني منْ غنائمِ حنينٍ مائةَ بعيرٍ(١).

وكان ﷺ يرشدهم للاغتسال بعد الإسلام.

عنْ قيسِ بنِ عاصمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّهُ أسلمَ، فأمرهُ النّبيُّ ﷺ أنْ يغتسلَ بماءٍ وسدرٍ(٢).

وعنْ أبي هريرةَ أنَّ ثمامةَ بنَ أثالٍ أسلمَ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**اذهبوا بهِ إلى حائطِ بني فلانٍ، فمروهُ أنْ يغتسلَ**»(٣).

وفيهِ: دليلٌ على مشروعيّةِ الغسلِ لمنْ أسلمَ، وذهبَ بعضُ أهلِ العلمِ إلى وجوبهِ، وذهبَ الأكثرونَ إلى الاستحبابِ.

قالَ الترمذي: «والعملُ عليهِ عندَ أهلِ العلمِ، يستحبّونَ للرّجلِ إذا أسلمَ أنْ يغتسلَ ويغسلَ ثيابهُ»(٤).

وكان يعلّمهم الأحكام الشرعية، ويأمرهم بالتخلّص من أدران الجاهلية.

عن أبي مالكٍ الأشجعيُّ عنْ أبيهِ قالَ: كانَ الرّجلُ إذا أسلمَ علّمهُ النّبيُّ ﷺ الصّلاةَ، ثمَّ أمرهُ أنْ يدعوَ بهؤلاءِ الكلماتِ: «**اللهمَّ اغفرْ لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني**»(٥).

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم [٦١٣٠].

(٢) رواه أبو داود [٣٥٥]، والترمذي [٥٥٠]، وصححه الألباني في الإرواء [١٢٨].

(٣) رواه أحمد [٧٩٧٧]، وصححه في الإرواء[١/ ١٦٤].

(٤) سنن الترمذي [٢/ ٥٠٢]، تحفة الأحوذي [٢/ ١٤٠].

(٥) رواه مسلم [٢٦٩٧].

وعنْ عثيمِ بنِ كليبٍ عنْ أبيهِ عنْ جدّهِ أنّهُ جاءَ إلى النّبيِّ ﷺ، فقالَ: قدْ أسلمتُ.

فقالَ لهُ النّبيُّ ﷺ: «**ألقِ عنكَ شعرَ الكفر، واختتنْ**»(١).

وكان ﷺ يقدّم الدخول في الإسلام على أي أمر آخر.

عن البراءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتى النّبيَّ ﷺ رجلٌ مقنّعٌ بالحديدِ(٢)، فقالَ: يا رسولَ اللهِ، أقاتلُ، أوْ أسلمُ؟

قالَ: «**أسلمْ، ثمَّ قاتلْ**».

فأسلمَ، ثمَّ قاتلَ، فقتلَ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**عملَ قليلاً، وأجرَ كثيراً**»(٣).

وفي هذا الحديث: أنَّ الأجر الكثير قدْ يحصل بالعملِ اليسير فضلاً منَ الله وإحساناً(٤).

قيل: إن هذا الرجل هو: عمرو بنُ ثابتِ بنِ وقشٍ.

عنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كانَ يقولُ: حدّثوني عنْ رجلٍ دخلَ الجنّةَ لمْ يصلِّ قطُّ؟

فإذا لمْ يعرفهُ النّاسُ سألوهُ: منْ هوَ؟

فيقولُ: أصيرمُ بني عبدِ الأشهلِ: عمرو بنُ ثابتِ بنِ وقش.

قالَ الحصينُ فقلتُ لمحمودِ بنِ لبيدٍ: كيفَ كانَ شأنُ الأصيرمِ؟

قالَ: كانَ يأبى الإسلامَ على قومهِ، فلمّا كانَ يومُ أحدٍ، وخرجَ رسولُ الله ﷺ إلى أحدٍ بدا لهُ الإسلامُ، فأسلمَ.

فأخذَ سيفهُ، فغدا حتّى أتى القومَ، فدخلَ في عرضِ النّاسِ، فقاتلَ حتّى أثبتتهُ الجراحةُ.

---

(١) رواه أبو داود [٣٥٦]، وحسنه الألباني في الإرواء [٧٩].

(٢) وهوَ كناية عنْ تغطية وجهه بآلةِ الحرب.

(٣) رواه البخاري [٢٨٠٨].

(٤) فتح الباري [٦/ ٢٥].

فبينما رجالُ بني عبدِ الأشهلِ يلتمسونَ قتلاهمْ في المعركةِ إذا همْ بهِ، فقالوا: والله إنَّ هذا للأصيرمُ، وما جاءَ، لقدْ تركناهُ وإنّهُ لمنكرٌ هذا الحديثَ.

فسألوهُ ما جاءَ بهِ، قالوا: ما جاءَ بكَ يا عمرو أحدباً على قومكَ[١]، أوْ رغبةً في الإسلامِ؟

قالَ: بلْ رغبةً في الإسلامِ، آمنتُ بالله ورسولهِ، وأسلمتُ ثمَّ أخذتُ سيفي، فغدوتُ معَ رسولِ الله ﷺ فقاتلتُ حتّى أصابني ما أصابني.

ثمَّ لمْ يلبثْ أنْ ماتَ في أيديهمْ، فذكروهُ لرسولِ الله ﷺ فقالَ: «**إنّهُ لمنْ أهلِ الجنّةِ**»[٢].

وكان يبعثُ مع المسلمين الجدد من يعلّمهم أمورَ دينهم:

عنْ أنسٍ رضي الله عنه أنَّ النّبيَّ ﷺ أتاهُ رعلٌ، وذكوانُ، وعصيّةُ، وبنو لحيانَ، فزعموا أنّهمْ قدْ أسلموا، واستمدّوهُ على قومهمْ.

فأمدّهمُ النّبيُّ ﷺ بسبعينَ منَ الأنصارِ.

قالَ أنسٌ: كنّا نسمّيهمْ القرّاءَ، يحطبونَ بالنّهارِ، ويصلّونَ باللّيلِ[٣].

قال المهلّب: «فيه أن السّنّة مضتْ من النبيِّ ﷺ في أن يمدَّ ثغوره بمددٍ من عنده، وجرى بذلك العمل من الأئمة بعده»[٤].

وكان ﷺ حريصاً على ثباتهم على الإسلام، وبعيداً عن كل ما ينفّرهم عنه:

عنْ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: سألتُ النّبيَّ ﷺ عنَ الجدرِ أمنَ البيتِ هوَ؟.

قالَ: «**نعمْ**».

قلتُ: فما لهمْ لمْ يدخلوهُ في البيتِ؟.

---

(١) أي: أعطفاً وحنوّاً. وقد تصحفت إلى «أحرباً»، والتصويب من الإصابة [٤/ ٥٠١]، ومن طبعة الرسالة

(٢) رواه أحمد [٢٣١٢٣]، وحسّنه ابن حجر في الإصابة [٤/ ٥٠١].

(٣) رواه البخاري [٣٠٦٤]، ومسلم [٦٧٧].

(٤) شرح ابن بطال على صحيح البخاري [٩/ ٢٩٠].

قالَ: «**إنَّ قومكِ قصّرتْ بهمْ النّفقةُ**».

قلتُ: فما شأنُ بابهِ مرتفعاً؟.

قالَ: «**فعلَ ذلكَ قومكِ؛ ليدخلوا منْ شاءوا، ويمنعوا منْ شاءوا**».

ثم قالَ لها: «**يا عائشةُ لولا أنَّ قومكِ حديثُ عهدٍ بجاهليّةٍ؛ لأمرتُ بالبيتِ فهدمَ، فأدخلتُ فيهِ ما أخرجَ منهُ، وألزقتهُ بالأرضِ، وجعلتُ لهُ بابينِ: باباً شرقيّاً وباباً غربيّاً، فبلغتُ بهِ أساسَ إبراهيمَ**»[1].

وفي رواية: «**ولولا أنَّ قومكِ حديثٌ عهدهمْ بالجاهليّةِ، فأخافُ أنْ تنكرَ قلوبهمْ...**».

فربّما أنكرتْ نفوسهمْ خرابَ الكعبةِ، فيوسوسُ لهمْ الشّيطانُ بذلكَ ما يقتضي إدخالَ الدّاخلةِ عليهمْ في دينهمْ.

والنّبيُّ ﷺ كانَ يريدُ استئلافهمْ، ويرومُ تثبيتهمْ على أمرِ الإسلامِ والدّينِ، يخافُ أنْ تنفرَ قلوبهمْ بتخريبِ الكعبةِ، ورأى أنْ يتركَ ذلكَ.

وأمرُ النّاسِ باستيعابِ البيتِ بالطّوافِ أقربُ إلى سلامةِ أحوالِ النّاسِ، وإصلاحِ أديانهمْ، معَ أنَّ استيعابهُ بالبنيانِ لمْ يكنْ منَ الفروضِ، ولا منْ أركانِ الشّريعةِ الّتي لا تقومُ إلّا بهِ، وإنّما يجبُ استيعابهُ بالطّوافِ خاصّةً، وهذا يمكنُ معَ بقائهِ على حالهِ[2].

من فوائد الحديث:

فيه: تركُ بعضِ الاختيارِ مخافةَ أنْ يقصرَ عنهُ فهمُ بعضِ النّاسِ.

وفيهِ: اجتنابُ وليِّ الأمرِ ما يتسرّعُ النّاسُ إلى إنكارهِ، وما يخشى منهُ تولّدُ الضّررِ عليهمْ في دينٍ، أوْ دنيا.

وفيه: تألّفُ قلوبهمْ بما لا يتركُ فيهِ أمرٌ واجبٌ.

---

(١) رواه البخاري [١٥٨٣]، ومسلم [١٣٣٣].

(٢) المنتقى شرح الموطإ [٢/ ٢٨٢].

وفيهِ: تقديمُ الأهمِّ، فالأهمِّ منْ دفعِ المفسدةِ، وجلبِ المصلحةِ، وأنّهما إذا تعارضا بدئَ بدفعِ المفسدةِ، وأنَّ المفسدةَ إذا أمنَ وقوعها عادَ استحبابُ عملِ المصلحةِ.

وفيه: حديثُ الرّجلِ معَ أهلهِ في الأمورِ العامّةِ.

وفيه: حرصُ الصّحابةِ على امتثالِ أوامرِ النّبيِّ ﷺ[1].

فائدة:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فبناها ابن الزبير على ذلك كما أخبرته به خالته عائشة أم المؤمنين عن رسول الله ﷺ، فجزاه الله خيراً.

ثم لما غلبه الحجاج بن يوسف في سنة ثلاث وسبعين هدم الحائط الشمالي وأخرج الحجر كما كان أولا، وأدخل الحجارة التي هدمها في جوف الكعبة فرصها فيه، فارتفع الباب، وسدَّ الغربي، وتلك آثاره إلى الآن، وذلك بأمر عبد الملك بن مروان في ذلك، ولم يكن بلغه الحديث، فلما بلغه الحديث قال: وددنا أنا تركناه وما تولى من ذلك.

وقد همَّ ابن المنصور المهدي أن يعيدها على ما بناها ابن الزبير، واستشار الإمام مالك بن أنس في ذلك، فقال: إني أكره أن يتخذها الملوك لعبة، يعني يتلاعبون في بنائها بحسب آرائهم، فهذا يرى رأي ابن الزبير، وهذا يرى رأي عبد الملك بن مروان، وهذا يرى رأيا آخر والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلم»[2].

وعن جابرِ بنَ عبدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ عبدَ الله بنَ أبيٍّ قالَ: أما والله لئنْ رجعنا إلى المدينةِ ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فبلغَ النّبيَّ ﷺ، فقامَ عمرُ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ، دعني أضربْ عنقَ هذا المنافقِ.

فقالَ النّبيُّ ﷺ: «**دعهُ؛ لا يتحدّثُ النّاسُ أنَّ محمّداً يقتلُ أصحابهُ**»[3].

---

(١) فتح الباري [٣/ ٤٤٨].

(٢) البداية والنهاية [٨/ ٢٧٥].

(٣) رواه البخاري [٤٩٠٥]، ومسلم [٢٥٨٤].

وعنْ جابرِ بنِ عبدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ بالجعرانةِ منصرفهُ منْ حنينٍ، وفي ثوبِ بلالٍ فضّةٌ، ورسولُ الله ﷺ يقبضُ منها يعطي النّاسَ، فقالَ: يا محمّدُ، اعدلْ.

قالَ: «**ويلكَ! ومنْ يعدلُ إذا لمْ أكنْ أعدلُ؟ لقدْ خبتَ وخسرتَ إنْ لمْ أكنْ أعدلُ**».

فقالَ عمرُ بنُ الخطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دعني يا رسولَ الله، فأقتلَ هذا المنافقَ. فقالَ: «**معاذَ الله أنْ يتحدّثَ النّاسُ أنّي أقتلُ أصحابي**»[1].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيهِ: ما كانَ عليهِ ﷺ منَ الحلم.

وفيهِ: ترك بعض الأمور المختارة، والصّبر على بعض المفاسد؛ خوفاً منْ أنْ تترتّب على ذلكَ مفسدة أعظم منهُ.

وكانَ ﷺ يتألّف النّاس، ويصبرُ على جفاء الأعراب والمنافقينَ، وغيرهمْ؛ لتقوى شوكة المسلمينَ، وتتمّ دعوة الإسلام، ويتمكّن الإيمان منْ قلوب المؤلّفة، ويرغب غيرهمْ في الإسلام، وكانَ يعطيهمْ الأموال الجزيلة لذلكَ.

ولمْ يقتل المنافقينَ لهذا المعنى، ولإظهارهمْ الإسلام، وقدْ أمرَ بالحكمِ بالظّاهرِ، والله يتولّى السّرائر، ولأنّهمْ كانوا معدودينَ في أصحابه ﷺ، ويجاهدونَ معهُ إمّا حميّة، وإمّا لطلبِ دنيا، أوْ عصبيّة لمنْ معهُ منْ عشائرهمْ.

قالَ القاضي: واختلفَ العلماء هلْ بقيَ حكم الإغضاء عنهمْ، وترك قتالهمْ، أوْ نسخَ ذلكَ عند ظهور الإسلام، ونزول قوله تعالى: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣].

وقيلَ: إنّما كانَ العفو عنهمْ ما لمْ يظهروا نفاقهمْ، فإذا أظهروهُ قتلوا»[2].

فالمنافقُ ما لم يظهرْ كفره ونفاقه فإنه لا يعاملُ في أحكام الدنيا معاملةَ الكفّار، بل معاملة المسلمين؛ لأنه قد عصمَ دمه وماله؛ بإعلانِ إسلامه، وتلك هي الجنّةُ التي ذكرها الله تعالى في كتابه: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢].

---

(١) رواه البخاري [٣١٣٨]، ومسلم [١٠٦٣]، واللفظ لمسلم.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم [١٦/ ١٣٩].

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني -والله أعلمُ- منَ القتلِ، فمنعهمْ منَ القتلِ، ولمْ يزلْ عنهمْ في الدّنيا أحكامَ الإيمانِ بما أظهروا منهُ.

وأوجبَ لهمُ الدّركَ الأسفلَ منَ النّارِ بعلمهِ بسرائرهمْ، وخلافها لعلانيتهمْ بالإيمانِ»[١].

قال ابن كثير: «ولهذا كان الضحاك بن مزاحم يقرؤها: «اتّخذوا إيمانهمْ جنّةً» أي: تصديقهم الظاهر جنّة، أي: تقيّةً يتّقون به القتل. والجمهور يقرؤها: ﴿أَيْمَٰنَهُمْ﴾ جمع يمين»[٢].

فالمنافقون لا يدخلون في أحكام المرتدّين، مع شدّة كفرهم، بل تجري عليهم في الدنيا أحكامُ المسلمين.

وعنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: بينما نحنُ عندَ رسولِ الله ﷺ وهوَ يقسمُ قسماً أتاهُ ذو الخويصرةِ -وهوَ رجلٌ منْ بني تميمٍ- فقالَ: يا رسولَ الله، اعدلْ. فقالَ: «**ويلكَ! ومنْ يعدلُ إذا لمْ أعدلْ؟ قدْ خبتَ وخسرتَ إنْ لمْ أكنْ أعدلُ**».

فقالَ عمرُ: يا رسولَ الله، ائذنْ لي فيهِ، فأضربَ عنقهُ. فقالَ: «**دعهُ فإنَّ لهُ أصحاباً يحقرُ أحدكمْ صلاتهُ معَ صلاتهمْ، وصيامهُ معَ صيامهمْ، يقرءونَ القرآنَ لا يجاوزُ تراقيهمْ، يمرقونَ منَ الدّينِ**[٣] **كما يمرقُ السّهمُ منَ الرّميّةِ**»[٤].

وفي روايةٍ لهما: قالَ النبي ﷺ: «**إني لم أومرْ أنْ أنقبَ عن قلوبِ الناس، ولا أشقَّ بطونهمْ**»[٥].

وفي رواية: قال النبي ﷺ: «**معاذَ الله أنْ يتحدّثَ الناس أنّي أقتلُ أصحابي**»[٦].

---

(١) أحكام القرآن [١/ ٢٩٩- ٣٠٠].

(٢) تفسير ابن كثير [٨/ ١٥٠].

(٣) أي: يخرجون.

(٤) رواه البخاري [٣٦١٠]، ومسلم [١٠٦٤].

(٥) رواه البخاري [٤٣٥١]، ومسلم [١٠٦٤].

(٦) رواه مسلم [١٠٦٣] من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قال الحافظ ابن حجر: «قوله: «**فإنَّ لهُ أصحاباً...**» هذا ظاهرهُ أنَّ تركَ الأمرِ بقتلهِ بسببِ أنَّ لهُ أصحابا بالصّفةِ المذكورة، وهذا لا يقتضي تركَ قتلهِ معَ ما أظهرهُ منْ مواجهةِ النّبيِّ ﷺ بما واجههُ، فيحتمل أن يكون لمصلحة التألّف كما فهمهُ البخاريُّ؛ لأنّهُ وصفهمْ بالمبالغةِ في العبادةِ معَ إظهارِ الإسلامِ، فلوْ أذنَ في قتلهمْ؛ لكانَ ذلكَ تنفيراً عنْ دخولِ غيرهمْ في الإسلامِ»[١].

وكان يتألّف من أسلم منهم بالمال والمعاملة الحسنة، ليكون ذلك سبباً لثباتهم على الإسلام.

عنْ أنسِ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: ما سئلَ رسولُ الله ﷺ على الإسلامِ شيئاً إلّا أعطاهُ.

فجاءهُ رجلٌ فأعطاهُ غنماً بينَ جبلينِ[٢]، فرجعَ إلى قومهِ فقالَ: يا قومِ أسلموا، فإنَّ محمّداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقةَ[٣].

وقالَ أنسٌ: إنْ كانَ الرّجلُ ليسلمُ ما يريدُ إلّا الدّنيا، فما يسلمُ حتّى يكونَ الإسلامُ أحبَّ إليهِ منْ الدّنيا وما عليها[٤].

والمراد: أنّهُ يظهر الإسلام أوّلاً للدّنيا، لا بقصدٍ صحيح بقلبهِ، ثمَّ منْ بركة النّبيّ ﷺ ونور الإسلام لمْ يلبث إلّا قليلاً حتّى ينشرح صدره بحقيقةِ الإيمان، ويتمكّن منْ قلبه، فيكون حينئذٍ أحبَّ إليهِ منْ الدّنيا وما فيها[٥].

وكذا كان يعطي من كان متردّداً أو كان ضعيف الإيمان، كما قال ﷺ قال: «**إنّي أعطي قريشاً أتألّفهمْ؛ لأنّهمْ حديثُ عهدٍ بجاهليّةٍ**»[٦].

---

(١) فتح الباري [١٢/ ٢٩٣].

(٢) أيْ: كثيرة كأنهّا تملأ ما بين جبلين.

(٣) رواه مسلم [٢٣١٢].

(٤) رواه مسلم [٢٣١٢].

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم [٨/ ٢١].

(٦) رواه البخاري [٣١٤٦]، ومسلم [١٠٥٩].

وكان ﷺ يأمر بعض من أسلم بكتمان إسلامه إذا خشي عليه الأذى:

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: كنتُ رجلاً منْ غفارٍ، فبلغنا أنَّ رجلاً قدْ خرجَ بمكّةَ يزعمُ أنّهُ نبيٌّ.

فقلتُ لأخي: انطلقْ إلى هذا الرّجلِ كلّمهُ، وأتني بخبرِهِ.

فانطلقَ فلقيهُ، ثمَّ رجعَ.

فقلتُ: ما عندكَ.

فقالَ: والله لقدْ رأيتُ رجلاً يأمرُ بالخيرِ، وينهى عنْ الشّرِّ.

فقلتُ لهُ: لمْ تشفني منْ الخبرِ.

فأخذتُ جراباً وعصاً، ثمَّ أقبلتُ إلى مكّةَ، فجعلتُ لا أعرفهُ، وأكرهُ أنْ أسألَ عنهُ، وأشربُ منْ ماءِ زمزمَ، وأكونُ في المسجدِ.

فمرَّ بي عليٌّ فقالَ: كأنَّ الرّجلَ غريبٌ.

قلتُ: نعمْ.

قالَ: فانطلقْ إلى المنزلِ.

فانطلقتُ معهُ لا يسألني عنْ شيءٍ، ولا أخبرهُ.

فلمّا أصبحتُ غدوتُ إلى المسجدِ لأسألَ عنهُ، وليسَ أحدٌ يخبرني عنهُ بشيءٍ.

فمرَّ بي عليٌّ فقالَ: أما آنَ للرّجلِ أن يعرفُ منزلهُ بعدُ[1]؟

قلتُ: لا.

قالَ: انطلقْ معي.

فانطلقتُ معهُ لا يسألني عنْ شيءٍ، ولا أخبرهُ.

---

(١) أي: أن يعرف منزلي الذي هو كمنزله. وهذا تلطّفٌ في عرض الاستضافة.

حتّى إذا كانَ يومُ الثّالثِ، فعادَ عليٌّ على مثلِ ذلكَ، فأقامَ معهُ ثمَّ قالَ: ألا تحدّثني ما أمركَ، وما أقدمكَ هذهِ البلدةَ.

قلتُ لهُ: إنْ كتمتَ عليَّ أخبرتكَ.

قالَ: فإنّي أفعلُ.

قلتُ لهُ: بلغنا أنّهُ قدْ خرجَ ها هنا رجلٌ يزعمُ أنّهُ نبيٌّ، فأرسلتُ أخي ليكلّمهُ، فرجعَ، ولمْ يشفني منَ الخبرِ، فأردتُ أنْ ألقاهُ.

فقالَ لهُ: أما إنّكَ قدْ رشدتَ، فإنّهُ حقٌّ، وهوَ رسولُ الله ﷺ، فإذا أصبحتَ فاتبعني حتّى تدخلَ مدخلي، فإنّي إنْ رأيتُ أحداً أخافهُ عليكَ قمتُ إلى الحائطِ كأنّي أصلحُ نعلي، وامضِ أنتَ.

فمضى ومضيتُ معهُ، حتّى دخلَ ودخلتُ معهُ على النّبيِّ ﷺ.

فقلتُ لهُ: اعرضْ عليَّ الإسلامَ.

فعرضهُ فأسلمتُ مكاني[1].

فقالَ لي: «**يا أبا ذرٍّ اكتمْ هذا الأمرَ، وارجعْ إلى بلدكَ، فإذا بلغكَ ظهورنا فأقبلْ**».

فقلتُ: والّذي بعثكَ بالحقِّ لأصرخنَّ بها بينَ أظهرهمْ[2].

فجاءَ إلى المسجدِ وقريشٌ فيهِ، فقالَ: يا معشرَ قريشٍ إنّي أشهدُ أنْ لا إلهَ إلّا الله وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدهُ ورسولهُ.

فقالوا: قوموا إلى هذا الصّابئِ[3].

فقاموا، فضربتُ لأموتَ.

---

(١) كأنّهُ كانَ يعرف علامات النّبيّ، فلمّا تحقّقها لمْ يتردّد في الإسلام.

(٢) والمراد أنّهُ يرفع صوته جهاراً بين المشركيَن، وكأنّهُ فهمَ أنَّ أمر النّبيّ ﷺ لهُ بالكتمانِ ليسَ على الإيجاب، بلْ على سبيل الشّفقة عليهِ، فأعلمهُ أنَّ بهِ قوّة على ذلكَ، ولهذا أقرّهُ النّبيّ ﷺ على ذلكَ.

(٣) وكانوا يسمّونَ منْ أسلمَ صابياً؛ لأنّهُ منْ صبا يصبو إذا انتقلَ منْ شيء إلى شيء.

فأدركني العبّاسُ، فأكبَّ عليَّ، ثمَّ أقبلَ عليهمْ فقالَ: ويلكمْ تقتلونَ رجلاً منْ غفارَ، ومتجركمْ وممرّكمْ على غفارَ.

فأقلعوا عنّي.

فلمّا أنْ أصبحتُ الغدَ رجعتُ، فقلتُ مثلَ ما قلتُ بالأمسِ.

فقالوا: قوموا إلى هذا الصّابئِ.

فصنعَ بي مثلَ ما صنعَ بالأمسِ، وأدركني العبّاسُ فأكبَّ عليَّ وقالَ مثلَ مقالتِهِ بالأمسِ[1].

وكذلك أمر عمرو بن عبسة بكتمان إسلامه والرجوع إلى قومه:

عن عمرو بنُ عبسةَ السّلميُّ قال: كنتُ وأنا في الجاهليّةِ أظنُّ أنَّ النّاسَ على ضلالةٍ، وأنّهمْ ليسوا على شيءٍ، وهمْ يعبدونَ الأوثانَ.

فسمعتُ برجلٍ بمكّةَ يخبرُ أخباراً.

فقعدتُ على راحلتي، فقدمتُ عليهِ، فإذا رسولُ الله ﷺ مستخفياً، جرءاءُ عليهِ قومهُ[2]، فتلطّفتُ حتّى دخلتُ عليهِ بمكّةَ.

فقلتُ لهُ: ما أنتَ؟

قالَ: «**أنا نبيٌّ**».

فقلتُ: وما نبيٌّ؟

قالَ: «**أرسلني الله**».

فقلتُ: وبأيِّ شيءٍ أرسلكَ؟

قالَ: «**أرسلني بصلةِ الأرحامِ، وكسرِ الأوثانِ، وأنْ يوحّدَ الله لا يشركُ بهِ شيءٌ**».

قلتُ لهُ: فمنْ معكَ على هذا؟

---

(١) رواه البخاري [٣٥٢٢]، ومسلم [٢٤٧٣].

(٢) منَ الجرأة وهيَ الإقدام والتّسلّط.

قالَ: «**حرٌّ وعبدٌ**».

ومعهُ يومئذٍ: أبو بكرٍ، وبلالٌ، ممّنْ آمنَ بهِ.

فقلتُ: إنّي متّبعكَ.

قـالَ: «**إنّكَ لا تسـتطيعُ ذلكَ يومكَ هـذا، ألا ترى حالي وحالَ النّـاسِ، ولكنْ ارجعْ إلى أهلكَ، فإذا سمعتَ بي قدْ ظهرتُ فأتني**».

فذهبتُ إلى أهلي.

وقدمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، وكنتُ في أهلي، فجعلتُ أتخبّرُ الأخبارَ، وأسألُ النّاسَ حينَ قدمَ المدينةَ، حتّى قدمَ عليَّ نفرٌ منْ أهلِ يثربَ منْ أهلِ المدينةَ.

فقلتُ: ما فعلَ هذا الرّجلُ الّذي قدمَ المدينةَ؟

فقالوا: النّاسُ إليهِ سراعٌ، وقدْ أرادَ قومهُ قتلهُ، فلمْ يستطيعوا ذلكَ.

فقدمتُ المدينةَ، فدخلتُ عليهِ، فقلتُ: يا رسولَ الله أتعرفني؟

قالَ: «**نعمْ، أنتَ الّذي لقيتني بمكّةَ**».

فقلتُ: بلى.

فقلتُ: يا نبيَّ الله أخبرني عمّا علّمكَ الله وأجهلهُ؟ أخبرني عنِ الصّلاةِ؟

قـالَ: «**صلِّ صـلاةَ الصّبحِ، ثمَّ أقصرْ عنِ الصّلاةِ حتّى تطلعَ الشّـمسُ حتّى ترتفعَ، فإنّها تطلعُ حينَ تطلعُ بينَ قرنيْ شيطانٍ، وحينئذٍ يسجدُ لها الكفّارُ.**

ثمَّ صلِّ فإنَّ الصّلاةَ مشهودةٌ محضورةٌ(١)**، حتّى يستقلَّ الظّلُّ بالرّمحِ**(٢).

ثمَّ أقصرْ عنِ الصّلاةِ؛ فإنَّ حينئذٍ تسجرُ جهنّمُ.

فإذا أقبلَ الفيءُ؛ فصلِّ؛ فإنَّ الصّلاةَ مشهودةٌ محضورةٌ حتّى تصلّيَ العصرَ.

---

(١) أيْ: تحضرها الملائكة فهيَ أقرب إلى القبول وحصول الرّحمة.

(٢) أيْ: يقوم مقابله في جهة الشّمال وليسَ مائلًا إلى المغرب ولا إلى المشرق، وهذهِ حالة الاستواء.

ثمَّ أقصرْ عنِ الصّلاةِ حتّى تغربَ الشّمسُ؛ فإنّها تغربُ بينَ قرنيْ شيطانٍ، وحينئذٍ يسجدُ لها الكفّارُ».

قالَ: فقلتُ يا نبيَّ الله، فالوضوءَ حدّثني عنهُ؟

قالَ: «ما منكمْ رجلٌ يقرّبُ وضوءهُ، فيتمضمضُ ويستنشقُ، فينتثرُ؛ إلّا خرّتْ خطايا وجههِ، وفيهِ وخياشيمهِ.

ثمَّ إذا غسلَ وجههُ كما أمرهُ الله؛ إلّا خرّتْ خطايا وجههِ منْ أطرافِ لحيتهِ معَ الماءِ.

ثمَّ يغسلُ يديهِ إلى المرفقينِ؛ إلّا خرّتْ خطايا يديهِ منْ أناملهِ معَ الماءِ.

ثمَّ يمسحُ رأسهُ؛ إلّا خرّتْ خطايا رأسهِ منْ أطرافِ شعرهِ معَ الماءِ.

ثمَّ يغسلُ قدميهِ إلى الكعبينِ إلّا خرّتْ خطايا رجليهِ منْ أناملهِ معَ الماءِ.

فإنْ هوَ قامَ فصلّى، فحمدَ اللهَ وأثنى عليهِ ومجّدهُ بالّذي هوَ لهُ أهلٌ، وفرّغَ قلبهُ لله؛ إلّا انصرفَ منْ خطيئتهِ كهيئتهِ يومَ ولدتهُ أمّهُ»[1].

وكان ﷺ يبشّرهم بغفران ما مضى من ذنوبهم حال الكفر، وأن الإسلام يهدم ما كان قبله:

عنْ حبيبِ بنِ أبي أوسٍ قالَ: حدّثني عمرو بنُ العاصِ منْ فيهِ قالَ: لمّا انصرفنا منَ الأحزابِ عنِ الخندقِ، جمعتُ رجالاً منْ قريشٍ كانوا يرونَ مكاني، ويسمعونَ منّي.

فقلتُ لهمْ: تعلمونَ والله إنّي لأرى أمرَ محمّدٍ يعلو الأمورَ علوّاً كبيراً منكراً، وإنّي قدْ رأيتُ رأياً فما ترونَ فيهِ؟

قالوا: وما رأيتَ؟

قالَ: رأيتُ أنْ نلحقَ بالنّجاشيِّ، فنكونَ عندهُ، فإنْ ظهرَ محمّدٌ على قومنا كنّا عندَ النّجاشيِّ، فإنّا أنْ نكونَ تحتَ يديهِ أحبُّ إلينا منْ أنْ نكونَ تحتَ يديْ محمّدٍ.

---

(١) رواه مسلم [٨٣٢].

وإنْ ظهرَ قومنا، فنحنُ منْ قدْ عرفَ، فلنْ يأتينا منهمْ إلّا خيرٌ.

فقالوا: إنَّ هذا الرّأيُ.

فقلتُ لهمْ: فاجمعوا لهُ ما نهدي لهُ، وكانَ أحبَّ ما يهدى إليهِ منْ أرضنا الأدمُ[1].

فجمعنا لهُ أدماً كثيراً، فخرجنا حتّى قدمنا عليهِ.

فوالله إنّا لعندهُ إذْ جاءَ عمرو بنُ أميّةَ الضّمريُّ؛ وكانَ رسولُ الله ﷺ قدْ بعثهُ إليهِ في شأنِ جعفرٍ وأصحابهِ.

قالَ: فدخلَ عليهِ ثمَّ خرجَ منْ عندهِ.

فقلتُ لأصحابي: هذا عمرو بنُ أميّةَ الضّمريُّ، لوْ قدْ دخلتُ على النّجاشيِّ، فسألتهُ إيّاهُ، فأعطانيهِ، فضربتُ عنقهُ، فإذا فعلتُ ذلكَ رأتْ قريشٌ أنّي قدْ أجزأتُ عنها حينَ قتلتُ رسولَ محمّدٍ.

فدخلتُ عليهِ، فسجدتُ لهُ كما كنتُ أصنعُ.

فقالَ: مرحباً بصديقي، أهديتَ لي منْ بلادكَ شيئاً؟

قلتُ: نعمْ أيّها الملكُ، قد أهديتُ لكَ أدماً كثيراً.

ثمَّ قدّمتهُ إليهِ، فأعجبهُ، واشتهاهُ.

ثمَّ قلتُ لهُ: أيّها الملكُ إنّي قدْ رأيتُ رجلاً خرجَ منْ عندكَ، وهوَ رسولُ رجلٍ عدوٍّ لنا، فأعطنيهِ لأقتلهُ؛ فإنّهُ قدْ أصابَ منْ أشرافنا وخيارنا.

فغضبَ، ثمَّ مدَّ يدهُ فضربَ بها أنفهُ ضربةً ظننتُ أنْ قدْ كسرهُ؛ فلوِ انشقّتْ لي الأرضُ؛ لدخلتُ فيها فرقاً منهُ.

ثمَّ قلتُ: أيّها الملكُ، والله لوْ ظننتُ أنّكَ تكرهُ هذا ما سألتكهُ.

فقالَ لهُ: أتسألني أنْ أعطيكَ رسولَ رجلٍ يأتيهِ النّاموسُ الأكبرُ الّذي كانَ يأتي موسى لتقتلهُ؟

---

(١) الجلد المدبوغ.

قلتُ: أيّها الملكُ أكذاكَ هوَ؟

فقـالَ: ويحكَ يا عمرو أطعني واتّبعـهُ؛ فإنّهُ والله لعلى الحقِّ، وليظهرنَّ على منْ خالفهُ كما ظهرَ موسى على فرعونَ وجنودهِ.

قلتُ: فبايعني لهُ على الإسلامِ.

قالَ: نعمْ فبسطَ يدهُ وبايعتهُ على الإسلامِ.

ثمَّ خرجتُ إلى أصحابي، وقدْ حالَ رأيي عمّا كانَ عليهِ، وكتمتُ أصحابي إسلامي.

ثمَّ خرجتُ عامداً لرسولِ الله ﷺ لأسلمَ.

فلقيتُ خالدَ بنَ الوليدِ، وذلكَ قبيلَ الفتحِ وهوَ مقبلٌ منْ مكّةَ.

فقلتُ: أينَ يا أبا سليمانَ؟

قالَ: والله لقدْ استقامَ المنسمُ[1]، وإنَّ الرّجلَ لنبيٌّ، أذهبُ والله أسلمُ، فحتّى متى؟.

قلتُ: والله ما جئتُ إلّا لأسلمَ.

فقدمنا على رسولِ الله ﷺ، فقدمَ خالدُ بنُ الوليدِ، فأسلمَ، وبايعَ.

ثمَّ دنوتُ، فبسطَ رسولُ الله ﷺ يدهُ إليَّ.

فقلتُ: يا رسولَ الله إنّي أبايعكَ على أنْ تغفرَ لي ما تقدّمَ منْ ذنبي.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**يا عمرو بايعْ، فإنَّ الإسلامَ يجبُّ ما كانَ قبلهُ**[2]، **وإنَّ الهجرةَ تجبُّ ما كانَ قبلها**».

فبايعتهُ، ثمَّ انصرفتُ.

قـالَ عمرٌو: فوالله إنْ كنتُ لأشـدَّ النّاسِ حياءً منْ رسـولِ الله ﷺ، فـما ملأتُ عيني منْ رسولِ الله ﷺ، ولا راجعتهُ بما أريدُ حتّى لحقَ بالله عَزَّوَجَلَّ حياءً منهُ[3].

---

(١) وهو الطريق، والمعنى: لقد اتّضحَ الأمر ولم يعد فيه لبس وشك.

(٢) والمراد أنه يذهب أثر المعاصي التي قارفها حال كفره من كفر وعصيان، وما يترتب عليهما من حقوق الله، أما حق الآدمي فلا يسقط إجماعا.

(٣) رواه أحمد بتمامه [١٧٣٢٣]، وقال الألباني في الإرواء [١٢٨٠]: «إسناده حسن أو قريب منه».

وكان يبشّرهم على أعمال الخير التي كانوا يعملونها في الجاهلية بالمثوبة والأجر:

عنْ عروة بن الزبير أنَّ حكيمَ بنَ حزامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعتقَ في الجاهليّةِ مائةَ رقبةٍ، وحملَ على مائةِ بعيرٍ.

فلمّا أسلمَ حملَ على مائةِ بعيرٍ، وأعتقَ مائةَ رقبةٍ.

قالَ: فسألتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله أرأيتَ أشياءَ كنتُ أصنعها في الجاهليّةِ كنتُ أتحنّثُ بها يعني أتبرّرُ بها[1]؟

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**أسلمتَ على ما أسلفتَ منْ خيرٍ**»[2].

قال ابن رجب: «وهذا يدلّ على أنَّ حسنات الكافر إذا أسلم يثابُ عليها»[3].

قال النووي: «ذهبَ ابن بطّالٍ وغيره منَ المحقّقينَ إلى أنَّ الحديث على ظاهره، وأنّهُ إذا أسلمَ الكافر وماتَ على الإسلام يثاب على ما فعلهُ منَ الخير في حال الكفر.

وأمّا قول الفقهاء: (لا يصحّ منْ الكافر عبادة، ولوْ أسلمَ لمْ يعتدّ بها): فمرادهمْ أنّهُ لا يعتدّ لهُ بها في أحكام الدّنيا، وليسَ فيهِ تعرّض لثوابِ الآخرة[4].

وكان ﷺ لا يتهاون معهم فيما يتعلق بأمور التوحيد:

فقد قدم وفدُ ثقيف على رسول الله ﷺ بالمدينة فيهم كنانة بن عبد ياليل وهو رأسهم يومئذٍ، وفيهم عثمانُ بن أبي العاص بن بشرٍ، وهو أصغر الوفدِ؛ يريدون الصلحَ والقضية حين رأوا أن قد فتحت مكةُ وأسلمتْ عامّةُ العرب.

فمكث الوفد يختلفون إلى رسول الله ﷺ، وهو يدعوهم إلى الإسلام.

---

(١) أيْ: أتعبد وأطلبُ البرَّ بها. وفي رواية لمسلم أنه قال: أيْ رسولَ الله، أرأيتَ أموراً كنتُ أتحنّثُ بها في الجاهليّةِ، منْ صدقةٍ، أوْ عتاقةٍ، أوْ صلةِ رحمٍ، أفيها أجرٌ؟

(٢) رواه البخاري [١٤٣٦]، ومسلم [١٢١].

(٣) جامع العلوم والحكم [١٤/ ١٣].

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم [٢/ ١٤٢] باختصار.

فقالَ لهُ ابن عبد ياليل: هلْ أنتَ مقاضينا حتّى نرجعَ إلى أهلنا وقومنا؟

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**نعمْ، إنْ أنتمْ أقررتمْ بالإسلامِ قاضيتكمْ، وإلّا فلا قضيّةَ ولا صلحَ بيني وبينكمْ**».

قال ابن عبد ياليل: أرأيت الزّنا؟ فإنّا قومٌ نغتربُ لا بدّ لنا منهُ، ولا يصبرُ أحدنا على العزبةِ.

قالَ: «**هوَ ممّا حرّمَ الله على المسلمينَ، يقولُ الله تعالى**: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

قالَ: أرأيت الرّبا؟

قالَ: «**الرّبا حرامٌ**».

قالَ: فإنّ أموالنا كلّها رباً.

قالَ: **لكمْ رءوسُ أموالكمْ، يقولُ الله تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

قالَ: أفرأيت الخمرَ؟ فإنّها عصيرُ أعنابنا، لا بدّ لنا منها.

قالَ: «**فإنّ اللهَ قدْ حرّمها**، ثمّ تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ ...﴾ [المائدة: ٩٠] الآيةَ.

فارتفعَ القومُ، وخلا بعضهمْ ببعضٍ، فقالَ ابن عبد ياليل: ويحكمْ نرجعُ إلى قومنا بتحريمِ هذهِ الخصالِ الثّلاثِ، والله لا تصبرُ ثقيفٌ عنِ الخمرِ أبداً، ولا عنِ الزّنا أبداً.

قالَ سفيانُ بنُ عبدِ الله: أيّها الرّجلُ إنْ يردْ الله بها خيراً تصبرْ عنها، قدْ كانَ هؤلاءِ الّذينَ معهُ على مثلِ هذا، فصبروا وتركوا ما كانوا عليهِ. معَ أنّا نخافُ هذا الرّجلَ قدْ أوطأَ الأرضَ غلبةً، ونحنُ في حصنٍ في ناحيةٍ منَ الأرضِ، والإسلامُ حولنا فاشٍ، والله لوْ قامَ على حصننا شهراً لمتنا جوعاً، وما أرى إلّا الإسلامَ، وأنا أخافُ يوماً مثلَ يومِ مكّةَ!

وكانَ رسولُ الله ﷺ يرسلُ إليهمْ بالطّعامِ، فلا يأكلونَ منهُ شيئاً حتّى يأكلَ منهُ رسولُ الله ﷺ حتّى أسلموا.

قالوا: أرأيت الرّبّةَ ما ترى فيها؟

قالَ: «**هدمها**».

قالوا: هيهاتَ لوْ تعلمُ الرّبّةُ أنّا أوضعنا في هدمها قتلتْ أهلنا.

قالَ عمرُ بنُ الخطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ويحك يا ابن عبد ياليل، إنّ الرّبّةَ حجرٌ لا يدري منْ عبدهُ ممّنْ لا يعبدهُ.

قالَ ابن عبد ياليل: إنّا لمْ نأتك يا عمرُ.

فأسلموا، وكملَ الصّلحُ، فلمّا كملَ الصّلحُ كلّموا النّبيّ ﷺ يدعُ الرّبّةَ ثلاثَ سنينَ لا يهدمها.

فأبى.

قالوا: سنتينِ

فأبى.

قالوا: سنةً.

فأبى.

قالوا: شهراً واحداً.

فأبى أنْ يوقّتَ لهمْ وقتاً.

وإنّما يريدونَ بتركِ الرّبّةِ لما يخافونَ منْ سفهائهمْ والنّساءِ والصّبيانِ، وكرهوا أنْ يروّعوا قومهمْ بهدمهَ.

فسألوا النّبيّ ﷺ أنْ يعفيهمْ منْ هدمها.

قالَ: رسولُ الله ﷺ: «**سأبعثُ إليكمْ منْ يكفيكمْ هدمها**».

فكاتبوه على ذلك، واستأذنوه أن يسبقوا رسله إليهم، فلما جاءوا قومهم تلقّوهم، فسألوهم: ما وراءكم؟

فأظهروا الحزن وأنهم إنما جاءوا من عند رجل فظٍّ غليظٍ قد ظهر بالسيف، يحكم بما يريد، وقد دوّخ العرب، قد حرم الربا والزنا والخمر، وأمر بهدم الربة.

فنفرت ثقيف وقالوا: لا نطيع لهذا أبداً.

قال: فتأهبوا للقتال وأعدوا السلاح، فمكثوا على ذلك يومين -أو ثلاثة-.

ثم ألقى الله في قلوبهم الرعب، فرجعوا وأنابوا وقالوا: ارجعوا إليه فشارطوه على ذلك، وصالحوه عليه.

قالوا: فإنا قد فعلنا ذلك، ووجدناه أتقى الناس، وأوفاهم، وأرحمهم، وأصدقهم، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه وفيما قاضيناه عليه.

قالوا: فلم كتمتمونا هذا أوّلاً؟

قالوا: أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان.

فأسلموا.

ومكثوا أياما ثم قدم عليهم رسل رسول الله ﷺ وقد أمّر عليهم خالد بن الوليد، وفيهم المغيرة بن شعبة.

وقد استكفت ثقيف كلها، الرجال والنساء والصبيان، حتى خرج العواتق من الحجال، ولا يرى عامة ثقيف أنها مهدومة ويظنون أنها ممتنعة.

فقام المغيرة بن شعبة فأخذ الكرزين -يعنى المعول- وقال لأصحابه: والله لأضحكنّكم من ثقيف.

فضرب بالمعول ثم سقط، يركض برجله.

فارتجَّ أهل الطائف بصيحة واحدة، وفرحوا وقالوا: أبعد الله المغيرة قتلته الربة! وقالوا لأولئك: من شاء منكم فليقترب.

فقام المغيرة فقال: يا معشرَ ثقيفٍ، كانتِ العربُ تقولُ ما منْ حيّ منْ أحياءِ العربِ أعقلُ منْ ثقيفٍ، وما منْ حيّ منْ أحياءِ العربِ أحمقُ منكمْ، ويحكمْ وما اللّاتُ والعزّى، وما الرّبّةُ؟ حجرٌ مثلُ هذا الحجرِ، لا يدري منْ عبدهُ ومنْ لمْ يعبدهُ.

ثم إنه ضرب الباب فكسره.

ثم علا سورها وعلا الرجال معه، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سوّوها بالأرض.

وجعل سادنها يقول: ترونَ إذا انتهى إلى أساسها، يغضبُ الأساسُ غضباً يخسفُ بهمْ.

فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد: دعني أحفرُ أساسها.

فحفروه حتى أخرجوا ترابها وجمعوا ماءها وبناءها.

وبهتتْ عند ذلك ثقيف.

ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فقسم أموالها من يومه، وحمدوا الله تعالى على إعزاز دينه ونصرة رسوله[1].

وكان النبي ﷺ ربما قبل من بعضهم ترك بعض الواجبات لمصلحة يراها، ومراعاة منه للتدرّج في الدعوة:

فقد كان ﷺ أحيانا يتألّفُ على الإسلام، فيسامحُ بترك بعض حقوق الإسلام، فيقبل منهم الإسلام، فإذا دخلوا فيه رغبوا في الإسلام، فقاموا بحقوقه وواجباته كلها[2].

عنْ وهبِ بن منبّه قالَ: سألتُ جابراً عنْ شأنِ ثقيفٍ إذْ بايعتْ؟.

قالَ: اشترطتْ على النّبيِّ ﷺ أنْ لا صدقةَ عليها ولا جهادَ، وأنّهُ سمعَ النّبيَّ ﷺ بعدَ ذلكَ يقولُ: «**سيتصدّقونَ ويجاهدونَ إذا أسلموا**»[3].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي [٥/ ٣٨٦]. السيرة النبوية لابن كثير [٤/ ٦٢]، زاد المعاد [٣/ ٥٢١].

(٢) فتح الباري لابن رجب [٤/ ١٢].

(٣) رواه أبو داود [٣٠٢٥]، وصححه الألباني في الصحيحة [١٨٨٨].

قال الإمام أحمد: «يصحُّ الإسلامُ على الشّرطِ الفاسدِ، ثمَّ يلزمُ بشرائعِ الإسلامِ كلّها»(١).

وعنْ أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ لرجلٍ: «**أسلمْ**».

قالَ: أجدني كارهاً.

قالَ: «**أسلمْ وإنْ كنتَ كارهاً**»(٢).

وعنْ نصرِ بنِ عاصمٍ عنْ رجلٍ منهمْ أنّهُ أتى النّبيَّ ﷺ، فأسلمَ على أنّهُ لا يصلّي إلّا صلاتينِ.

فقبلَ ذلكَ منهُ(٣).

فقد قبل النبي ﷺ من هؤلاء ترك بعض الواجبات من باب التدرّج معهم، وتأليف قلوبهم.

فربما لا يفقه بعض الكفار الدين الإسلامي حقيقةً، أو يثقلُ عليه شيءٌ منه، فيقبلُ منه الإسلامُ قبولا مبدئيّاً ترغيباً له فيه، ثم يرشدُ، وينصحُ، ويؤمرُ بباقي الشرائع.

وذلك طمعاً في أنه إذا دخل في الإسلام واستقر الإيمان في قلبه التزم بباقي الشرائع، كما قال النبي ﷺ عن وفد ثقيف: «**سيتصدّقونَ ويجاهدونَ إذا أسلموا**».

وقد بوب مجد الدين ابن تيمية على هذا الحديث وغيره بقوله: «باب صحة الإسلام مع الشرط الفاسد»(٤).

قال الشوكاني: «هذه الأحاديث فيها دليل على أنه يجوز مبايعة الكافر، وقبول الإسلام منه، وإن شرط شرطاً باطلاً، وأنه يصح إسلام من كان كارهاً»(٥).

---

(١) جامع العلوم والحكم [١/ ٢٢٩].

(٢) رواه الإمام أحمد [١١٦٥٠] وصححه الألباني في الصحيحة [١٤٥٤].

(٣) رواه أحمد [١٩٧٧٦]، وصححه الألباني في الثمر المستطاب [٣].

(٤) المنتقى [٢/ ٤١٦٤].

(٥) نيل الأوطار [٨ / ٦].

ومصلحةُ أن يسلم مع النقصِ الذي يرجى تكميله أولى من أن يبقى على الكفر المحض.

قال الحافظ ابن رجب: «ومنَ المعلومِ بالضّرورةِ أنَّ النّبيَّ ﷺ كانَ يقبلُ منْ كلِّ منْ جاءهُ يريدُ الدّخولَ في الإسلامِ الشّهادتينِ فقطْ، ويعصمُ دمهُ بذلكَ، ويجعلهُ مسلماً.

ولمْ يكنْ ﷺ يشترطُ على منْ جاءهُ يريدُ الإسلامَ أنْ يلتزمَ الصّلاةَ والزّكاةَ.

بلْ قدْ رويَ أنّهُ قبلَ منْ قومٍ الإسلامَ، واشترطوا أنْ لا يزكّوا»[1].

تنبيه: وما سبق هو في الكافر الذي يريد أن يسلم، وأما لو جاءنا مسلماً، وقال: سأكتفي بصلاتين فقط لهذا الحديث، فلا يقبل منه.

وقد لا يقبل ﷺ ذلك من بعضهم لعلمه بقوة استجابتهم:

عن ابنَ الخصاصيّةِ قالَ: أتيتُ النّبيَّ ﷺ لأبايعهُ.

فاشترطَ عليَّ: شهادةَ أنْ لا إلهَ إلّا الله وأنَّ محمّداً عبدهُ ورسولهُ، وأنْ أقيمَ الصّلاةَ، وأنْ أؤدّيَ الزّكاةَ، وأنْ أحجَّ حجّةَ الإسلامِ، وأنْ أصومَ شهرَ رمضانَ، وأنْ أجاهدَ في سبيلِ الله.

فقلتُ يا رسولَ الله: أمّا اثنتانِ فوالله ما أطيقهما: الجهادُ والصّدقةُ، فإنّهمْ زعموا أنّهُ منْ ولّى الدّبرَ؛ فقدْ باءَ بغضبٍ منْ اللهِ، فأخافُ إنْ حضرتُ تلكَ جشعتْ نفسي[2]، وكرهتْ الموتَ.

والصّدقةُ فوَ الله ما لي إلّا غنيمةٌ، وعشرُ ذودٍ هنَّ رسلُ[3] أهلي، وحمولتهمْ.

قالَ: فقبضَ رسولُ الله ﷺ يدهُ، ثمَّ حرّكَ يدهُ، ثمَّ قالَ: «**فلا جهادَ ولا صدقةَ؟! فلمَ تدخلُ الجنّةَ إذاً؟**».

قلتُ يا رسولَ الله: أنا أبايعكَ.

---

(١) جامع العلوم والحكم [١/ ٢٢٨].

(٢) أي: فزعت. النهاية [١/ ٢٧٤]

(٣) الرسل: هوَ اللّبن.

فبايعتُ عليهنَّ كلّهنَّ[١].

قال ابن الأثير: «فأما حديث بشير بن الخصاصيّة حين ذكرَ له شرائعَ الإسلام... فلم يحتمل لبشير ما احتمل لثقيف، ويشبه أن يكون إنّما لم يسمح له؛ لعلمه أنه يقبل إذا قيل له.

وثقيفٌ كانت لا تقبله في الحال، وهو واحدٌ وهم جماعة، فأرادَ أن يتألّفهم، ويدرّجهم عليه شيئاً فشيئاً»[٢].

مواساتهم، وحثُّ الصحابة على تعليمهم:

عنْ عروةَ قالَ: لمّا رجعَ المشركونَ إلى مكّةَ منْ بدرٍ وقدْ قتلَ الله تعالى منْ قتلَ منهمْ.

أقبلَ عميرُ بن وهبٍ حتّى جاءَ إلى صفوانَ بن أميّةَ في الحجرِ.

فقالَ صفوانُ: قبّحَ الله العيشَ بعدَ قتلى بدرٍ.

فقالَ عميرٌ: أجلْ والله، ما في العيشِ خيرٌ بعدُ، ولولا دينٌ عليَّ لا أجدُ لهُ قضاءً، وعيالي ورائي لا أجدُ لهمْ شيئاً لدخلتُ على محمّدٍ فلقتلتهُ إنْ ملئتْ عيني منهُ؛ فإنَّ لي عندهُ علّةً، أقولُ قدمتُ على ابني هذا الأسيرُ[٣].

ففرحَ صفوانُ بقولهِ فقالَ: عليَّ دينكَ، وعيالكَ أسوةُ عيالي في النّفقةِ.

فحملهُ صفوانُ وجهّزهُ بسيفِ صفوانَ، فصقلَ وسمَّ.

وقالَ عميرٌ لصفوانَ: اكتمني لياليَ.

فأقبلَ عميرٌ حتّى قدمَ المدينةَ، فنزلَ بابَ المسجدِ، وعقلَ راحلتهُ، وأخذَ السّيفَ لرسولِ الله ﷺ.

فنظرَ إليهِ عمرُ بن الخطّابِ، وهوَ في نفرٍ منَ الأنصارِ يتحدّثونَ عنْ وقعةِ بدرٍ، ويشكرونَ نعمةَ الله.

---

(١) رواه الإمام أحمد [٢١٤٤٥]، والحاكم [٢٤٢١]، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) النهاية في غريب الأثر [٣ / ٤٧٦].

(٣) كانَ ابنهُ وهبُ بنُ عميرٍ في أسارى بدرٍ.

فلمّا رأى عمرُ عميرَ بن وهبٍ معهُ السّيفُ فزعَ منهُ، فقالَ: عندكمُ الكلبُ هذا عدوُّ اللهِ!

فقامَ عمرُ فدخلَ على رسولِ الله ﷺ فقالَ: هذا عميرُ بن وهبٍ قدْ دخلَ المسجدَ معهُ السّلاحُ، فهوَ الفاجرُ الغادرُ يا رسولَ الله لا تأمنهُ.

قالَ: «**أدخلهُ عليَّ!**».

فدخلَ عمرُ وعميرٌ، وأمرَ أصحابهُ أنْ يدخلوا على رسولِ الله ﷺ، ثمَّ يحترسوا منْ عميرٍ إذا دخلَ عليهمْ.

فأقبلَ عمرُ بن الخطّابِ وعميرُ بن وهبٍ، فدخلا على رسولِ الله ﷺ، ومعَ عمرَ سيفهُ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ لعمرَ: «**تأخّرْ عنهُ**».

فلمّا دنا منهُ حيّاهُ عميرٌ: أنعمْ صباحاً. وهيَ تحيّةُ أهلِ الجاهليّةِ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**قدْ أكرمنا الله عَزَّوَجَلَّ عنْ تحيّتكَ وجعلَ تحيّتنا السّلامَ وهيَ تحيّةُ أهلِ الجنّةِ**».

فقالَ عميرٌ: إنَّ عهدكَ بها لحديثٌ.

قالَ رسولُ الله ﷺ: «**قدْ بدّلنا الله خيراً منها، فما أقدمكَ يا عميرُ؟**».

قالَ: قدمتُ في أسيري عندكمْ، فقاربوني في أسيري؛ فإنّكمُ العشيرةُ والأهلُ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**فما بالُ السّيفِ في رقبتكَ؟**».

فقالَ عميرٌ: قبّحها الله منْ سيوفٍ، فهلْ أغنتْ عنّا منْ شيءٍ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**اصدقني ما أقدمكَ**».

قالَ: ما قدمتُ إلا في أسيري.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**فما شرطتَ لصفوانَ بن أميّةَ الجمحيِّ في الحجرِ؟**». ففزعَ عميرٌ، وقالَ: ماذا اشترطتُ لهُ.

قالَ: «**تحمّلتَ لهُ بقتلي على أنْ يعولَ بنيكَ، ويقضيَ دينكَ، والله حائلٌ بينكَ وبينَ ذلكَ**».

فقالَ عميرٌ: أشهدُ أنّكَ رسولُ الله وأشهدُ أنّهُ لا إلهَ إلا الله، كنّا يا رسولَ الله نكذّبُ بالوحيِ، وبما يأتيكَ منَ السّماءِ، وإنَّ هذا الحديثَ الّذي كانَ بيني وبينَ صفوانَ في الحجرِ كما قالَ رسولُ الله ﷺ، لمْ يطّلعْ عليهِ أحدٌ غيري وغيرهُ، ثمَّ أخبركَ الله بهِ، فآمنتُ بالله ورسولهِ، والحمدُ لله الّذي ساقني هذا المقامَ.

ففرحَ المسلمونَ حينَ هداهُ الله.

وقالَ عمرُ بن الخطّابِ رضيَ الله تعالى عنهُ: لخنزيرٌ كانَ أحبَّ إليَّ منهُ حينَ اطّلعَ، ولهوَ اليومَ أحبُّ إليَّ منْ بعضِ بنيَّ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**اجلسْ نواسكَ**».

وقالَ: «**علّموا أخاكمُ القرآنَ**».

وأطلقَ لهُ أسيرهُ.

وقالَ: يا رسولَ الله، قدْ كنتُ جاهداً ما استطعتُ على إطفاءِ نورِ الله، فالحمدُ لله الّذي ساقني هذا المساقَ؛ فلتأذنْ لي، فألحقَ بقريشٍ، فأدعوهمْ إلى الإسلامِ لعلَّ الله يهديهمْ، ويستنقذهمْ منَ الهلكةِ.

فأذنَ لهُ رسولُ الله ﷺ ولحقَ بمكّةَ.

وجعلَ صفوانُ يقولُ لقريشٍ في مجالسهمْ: أبشروا بفتحٍ ينسيكمْ وقعةَ بدرٍ، وجعلَ يسألُ كلَّ راكبٍ قدمَ منَ المدينةِ هلْ كانَ بها منْ حدثٍ؟ وكانَ يرجو ما قالَ عميرُ بن وهبٍ.

حتّى قدمَ عليهِ رجلٌ منْ أهلِ المدينةِ فسألَ صفوانُ عنهُ، فقالَ: قدْ أسلمَ، فلقيهُ المشركونَ، فقالوا: قدْ صبأَ.

وقالَ صفوانُ: إنَّ عليَّ أنْ لا أنفعهُ بنفقةٍ أبداً، ولا أكلّمهُ منْ رأسٍ كلمةً أبداً، وقدمَ عليهمْ عميرٌ ودعاهمْ إلى الإسلامِ، ونصحَ لهمْ، فأسلمَ بشرٌ كثيرٌ[1].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير [١٣٥٨٦]، والبيهقي في الدلائل [١٠٠٩]، وقال الهيثمي: «رواهُ الطّبرانيُّ مرسلًا وإسنادهُ جيّدٌ». مجمع الزوائد [٨/ ٢٨٦].

وكان يأمرهم بتبليغ ما تعلموه إلى من وراءهم من قومهم:

عنْ مالكِ بنِ الحويرثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قدمنا على النّبيِّ ﷺ ونحنُ شببةٌ، فلبثنا عندهُ نحواً منْ عشرينَ ليلةً، وكانَ النّبيُّ ﷺ رحيماً رفيقاً.

فظنَّ أنّا اشتقنا أهلنا.

فلمّا رأى شوقنا إلى أهالينا، وسألنا عمّنْ تركنا في أهلنا فأخبرناهُ.

فقالَ: «**لوْ رجعتمْ إلى بلادكمْ؛ فعلّمتموهمْ، مروهمْ فليصلّوا صلاةَ كذا في حينِ كذا، وصلاةَ كذا في حينِ كذا، وإذا حضرتْ الصّلاةُ فليؤذّنْ لكمْ أحدكمْ، وليؤمّكمْ أكبركمْ**»[(١)].

وكان إذا أسلم الرجل دعاه إلى التخلّي عما يتعارض مع الشرع:

عنْ ابنِ عمرَ أنَّ غيلانَ بنَ سلمةَ الثّقفيَّ أسلمَ، وتحتهُ عشرُ نسوةٍ في الجاهليّةِ، فأسلمنَ معهُ.

فقالَ لهُ النّبيُّ ﷺ: «**اخترْ منهنَّ أربعاً**».

فلمّا كانَ في عهدِ عمرَ طلّقَ نساءهُ، وقسمَ مالهُ بينَ بنيهِ.

فبلغَ ذلكَ عمرَ فقالَ: إنّي لأظنُّ الشّيطانَ فيما يسترقُ منَ السّمعِ سمعَ بموتكَ، فقذفهُ في نفسكَ، ولعلّكَ أنْ لا تمكثَ إلّا قليلاً.

وايمُ الله لتراجعنَّ نساءكَ، ولترجعنَّ في مالكَ، أوْ لأورّثهنَّ منكَ، ولآمرنَّ بقبركَ فيرجمُ كما رجمَ قبرُ أبي رغال[(٢)].

أبو رغالٍ «هوَ أبو ثقيفٍ وكانَ منْ ثمودَ وكانَ بهذا الحرمِ يدفعُ عنهُ، فلمّا خرجَ منهُ أصابتهُ النّقمةُ الّتي أصابتْ قومهُ بهذا المكانِ فدفنَ فيهِ»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري [٦٣١]، ومسلم [٦٧٤].

(٢) رواه الترمذي [١١٢٨]، وابن ماجة [١٩٥٣]، وأحمد [٤٦١٧]، واللفظ له، وصحّحه الألباني في الإرواء [١٨٨٣].

(٣) تحفة الأحوذي [٤/ ٢٣٤].

وعنْ الضّحّاكِ بنِ فيروزَ عنْ أبيهِ قالَ: قلتُ يا رسولَ الله إنّي أسلمتُ وتحتي أختانِ.

قالَ: «**طلّقْ أيّتهما شئتَ**»(١).

وكان يأمر ذا الشيبة منهم بتغيير الشيب وصبغه:

فعنْ جابرِ بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: أتيَ بأبي قحافةَ أوْ جاءَ عامَ الفتحِ، أوْ يومَ الفتحِ، ورأسهُ ولحيتهُ مثلُ الثّغامِ أوْ الثّغامةِ(٢)، فأمرَ أوْ فأمرَ بهِ إلى نسائهِ قالَ: «**غيرّوا هذا بشيءٍ**»(٣).

وكان يأمر من نذر طاعة أو شرع فيها أن يتمها بعد إسلامه:

عنِ ابنِ عمرَ أنَّ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: يا رسولَ اللهِ، إنّي نذرتُ في الجاهليّةِ أنْ أعتكفَ ليلةً في المسجدِ الحرامِ.

قالَ: «**فأوفِ بنذركَ**»(٤).

قال ابن حجر: «وفي الحديث لزوم النّذر للقربةِ منْ كلّ أحد حتّى قبلَ الإسلامِ»(٥).

ولما أسلم ثمامةُ بنُ أثالٍ قال للنبي ﷺ: (إنَّ خيلكَ أخذتني وأنا أريدُ العمرةَ فماذا ترى؟).

فبشّرهُ رسولُ الله ﷺ(٦)، وأمرهُ أنْ يعتمرَ.

فلمّا قدمَ مكّةَ، قالَ لهُ قائلٌ: صبوتَ؟

قالَ: لا، ولكنْ أسلمتُ معَ محمّدٍ رسولِ الله ﷺ(٧).

---

(١) رواه أبو داود [٢٢٤٣]، والترمذي [١١٢٩]، وابن ماجة [١٩٥١]، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان [٤١٤٣].

(٢) هوَ نبت أبيضُ الزّهر والثّمرِ يشبّه بهِ الشّيب. وقيلَ هيَ شجرةٌ تبيضُّ كأنهّا الثّلجُ. النهاية [١/ ٢١٤]

(٣) رواه مسلم [٢١٠٢].

(٤) رواه البخاري [٢٠٣٥]، ومسلم [١٦٥٦].

(٥) فتح الباري [١١/ ٥٨٢].

(٦) أيْ: بشرّهُ بما حصلَ لهُ منْ الخير العظيم بالإسلامِ، أوْ بمحوِ ذنوبه وتبعاته السّابقة وأنَّ الإسلام يهدم ما كانَ قبله.

(٧) رواه البخاري [٤٣٧٢]، ومسلم [١٧٦٤] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيهِ: أنَّ الكافر إذا أرادَ عمل خير، ثمَّ أسلمَ شرعَ لهُ أنْ يستمرّ في عمل ذلكَ الخير»[١].

وأمرهُ إيّاه بالعمرةِ على الاستحباب؛ لأنَّ العمرة مستحبّة في كلّ وقت لا سيّما منْ هذا الشّريف المطاع إذا أسلمَ، وجاءَ مراغماً لأهلِ مكّة فطافَ وسعى وأظهرَ إسلامه وأغاظهمْ بذلكَ[٢].

عدمُ حبسِ السّفراء الراغبين في الإسلام.

عن أبي رافعٍ - وكانَ قبطيّاً قالَ: بعثتني قريشٌ إلى رسولِ الله ﷺ، فلمّا رأيتُ رسولَ الله ﷺ ألقيَ في قلبي الإسلامُ.

فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنّي والله لا أرجعُ إليهمْ أبداً!

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنّي لا أخيسُ بالعهدِ**[٣]، **ولا أحبسُ البردَ**[٤] **ولكنْ ارجعْ، فإنْ كانَ في نفسكَ الّذي في نفسكَ الآنَ فارجعْ**».

قالَ: فذهبتُ، ثمَّ أتيتُ النّبيَّ ﷺ؛ فأسلمتُ[٥].

وفيه: أنَّ العهد يراعى معَ الكافر كما يراعى معَ المسلم[٦].

قال الطيبي: «والمراد بالعهد هنا العادة الجارية المتعارفة بين الناس، أن الرّسل لا يتعرّضُ لهم بمكروه؛ لأن في تردّد الرّسل مصلحةً كلّيّةً، فلو حبسوا أو تعرّضَ لهم بمكروه؛ كان سبباً لانقطاع السّبل بين الفئتين المختلفتين، وفيه من الفتنة والفساد ما لا يخفى على ذي لبٍّ»[٧].

---

(١) فتح الباري [٨/ ٨٨].

(٢) شرح النووي على مسلم [١٢/ ٨٩].

(٣) أي: لا أنقض العهد.

(٤) جمع بريد وهو الرسول.

(٥) رواه أبو داود [٢٧٥٨]، وصححه في السلسلة الصحيحة [٧٠٢].

(٦) عون المعبود[٦/ ٢٠٣].

(٧) فيض القدير[٣/ ٢٥].

وقالَ ابن القيم: «وكانَ هديه أيضاً: أنْ لا يحبس الرّسول عنده إذا اختارَ دينه، ويمنعهُ اللّحاق بقومهِ، بلْ يردّهُ إليهمْ.

قالَ أبو داودَ: وكانَ هذا في المدّة الّتي شرطَ لهمْ رسول الله ﷺ أنْ يردّ إليهمْ منْ جاءَ منهمْ وإنْ كانَ مسلماً، وأمّا اليوم فلا يصلح هذا»[1].

يستقبلُ المصطفى بالبشرِ مسلمهمْ ... وبالحفاوةِ يلقاهمْ إذا قدموا
بالغسلِ يأمرهمْ حتّى يطهّرهمْ ... فإنّهُ مع طهرِ القلبِ منسجمُ
نصحاً يحذّرهمْ منْ كلِّ شائبةٍ ... تشوبُ إيمانهمْ، فالشّركُ مصطلمُ
رفقاً يعلّمهمْ أحكامَ دينهمُ ... بالحلمِ واللّينِ حتّى تثبتَ القدمُ
وتاركاً كلَّ ما عنهُ ينفّرهمْ ... فما بدا منهُ تعنيفٌ ولا غشمُ
وكمْ يؤلّفهمْ بالمالِ يبذلهُ ... منْ دونِ منْ بثباتِ القلبِ قدْ علموا
يخشى عليهمْ، وبالكتمانِ يأمرهمْ ... حيناً، وذو العقلِ قدْ يخشى فيكتتمُ
وسائلٍ عنْ خصالِ الخيرِ قدّمها ... في الجاهليّةِ، والخيراتُ تغتنمُ
قدْ أسلفَ الخيرَ، والإسلامُ كمّلهُ ... وفازَ بالخيرِ منْ بالدّينِ يعتصمُ
ومنْ تحنّثَ بالخيراتِ ينذرها ... فليوفِ بالنّذرِ، وليبرزْ بها القسمُ
ومنْ تبقّتْ بقايا جاهليّتهِ ... فالمصطفى ناصحٌ، والشّرُّ ينحسمُ
ويرسلُ المصطفى أصحابهُ لهمُ ... معلّمينَ، ونعمَ النّاصحونَ همُ
أتاهُ ذو شيبةٍ يوماً، فغيّرها ... وخيرُ صبغٍ لها الحنّاءُ والكتمُ
وقدْ تمكّنَ منْ أعدائهِ، فعفا ... فليسَ يعزبُ عنهُ العفوُ والكرمُ
فدًى لهُ النّفسُ والأولادُ أجمعهمْ ... والوالدانِ، وخلقُ الله كلّهمُ

(١) زادَ المعاد [٣/ ١٢٦].